الباب الرابع
الكتب السماوية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
التوراة والإنجيل وموقف القرآن منهما

- التوراة أو العهد القديم .
- قيمة أسفار العهد القديم .
- الإنجيل أو العهد الجديد .
- بقية أسفار العهد الجديد .
- موقف القرآن من مصادر العهدين القديم والجديد .
- نتائج الفصل .

obeikandl.com

obeikandl.com

بادئ ذي بدء نؤمن ـ نحن المسلمون ـ بأن الله ـ عز وجل ـ أوحى إلى «موسى» ـ عليه السلام ـ التوراة فيها هدى ونور، وأنزل الزبور على «داود» ـ عليه السلام ـ ثم أنزل الإنجيل وحياً من عنده تعالى على «عيسى» ـ عليه السلام ـ مكملاً لما جاءت به التوراة. وأنزل القرآن الكريم على «محمد بن عبدالله» ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه تبيان لكل شيء، فهو الدستور الإلهي الذي احتوى خلاصة ما في الكتب السابقة عليه، وأضاف إليها ما تحتاجه البشرية في مستقبل حياتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والإيمان بالكتب هو الإيمان بالرسالات جميعاً، وبالرسل أجمعين. وهو الإيمان بوحدة البشرية، ووحدة إلهها، ووحدة دينها، ووحدة منهجها الإلهي... ولهذا الشعور قيمة في شعور المؤمن الوارث لتراث الرسل والرسالات[1].

«وفي هذا مزية للمؤمنين من هذه الأمة على غيرهم من أهل الكتاب، الذين يفرقون بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كأنهم لم يعقلوا معنى الرسالة في نفسها، إذ لو عقلوها لما فرقوا بين من أوتوْها»[2].

والكتب الأولى لم تكن للبشرية عامة، فهي محدودة الزمان والمكان، ومن ثم أوكلت مهمة حفظها إلى المخاطبين بها، بخلاف القرآن الكريم الذي كان كتاباً للبشرية جمعاء، إنه المرحلة الأخيرة في اتصال السماء بالأرض، في موضوع الأوامر والنواهي، والتشريعات بصورة عامة، ومن ثم تكفل الله بحفظه، فهيأ له من أسباب العناية ووسائل الرعاية، ما لم يهيئها لكتاب غيره. فلم تصل إليه يد التبديل والتغيير مثل الكتب الأخرى (التوراة والإنجيل) والتي لم تعد بوضعها الحالي، تتصل من

---

(1) في ظلال القرآن. سيد قطب، 1/ 159، مرجع سابق.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 3/ 144. الطبعة الثانية، أعيدت بالأفست. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ـ لبنان.

قريب أو بعيد بالوحي الإلهي، الذي أنزله الله على رسله، إلا من ناحية الإطلاق التاريخي للأسماء. فالكتب المتداولة عند اليهود والنصارى لا تمت بصلة إلى التوراة، والزبور، والإنجيل التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، والتي دعوا من خلالها إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإلى مكارم الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . . ونحن إذ نتحدث عن تلك الكتب والأسفار، لا نتحدث عنها بحسبانها كتباً إلهيةً، أو أننا نقر بما جاء فيها، وما علق بها من أوهام وأدران، وإنما هو البحث العلمي الذي يهدف الوصول إلى الحقيقة، فنحن نعيش في عالم تدين فيه شعوب كثيرة بأديان تدعي أنها إلهية، خاصة اليهود والنصارى، فالدراسة تهدف إلى تفنيد هذا الادعاء بكل موضوعية بعيداً عن التعصب والانحراف عن جادة الصواب.

أولاً: التوراة، أو «العهد القديم»

وهي التسمية العلمية لأسفار اليهود، والتي أطلقت عليها في العصور المسيحية، للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفار أطلقوا عليها «العهد الجديد».

والعهد القديم مقدس عند اليهود والنصارى، ولكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون. فإذا جئنا إلى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية. وتنقسم أسفار العهد القديم ـ عند اليهود ـ أربعة أقسام:

1 ـ التوراة، أو أسفار «موسى» وهي: سفر التكوين، والخروج، والتثنية، واللاويين، والعدد.

وسفر «التكوين» يحكي قصة خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان، وقصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر، ونزوله إلى الأرض، ثم حياة أولاده من بعده... وينتهي هذا السفر باستقرار بني إسرائيل في مصر، زمن «يوسف» عليه السلام.

أما «سفر الخروج» فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة «موسى» ورسالته، وخروجه مع بني إسرائيل، ويتحدث عن فترة «التيه» التي قضوها في صحراء سيناء، واستغرقت أربعين عاماً، وقتالهم بعد ذلك للكنعانيين سكان «فلسطين» الأصليين، ودخولهم أرض الميعاد. وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على الوصايا العشر التي أعطاها الله لـ «موسى» وبه أيضاً طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات، والمعاملات، والحدود...

وأما سفر «التثنية» أو «تثنية الشريعة» فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب، والسياسة، والاقتصاد، والمعاملات، والعقوبات...

وفي هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضاً جيداً، كما أعيد فيه الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء، والملك عند بني إسرائيل، وتحدث أيضاً عن الكهنة، والنبوة، وعن انتخاب «يوشع بن نون» خلفاً لـ«موسى» وينتهي بخبر وفاة «موسى» ودفنه في «جبل مؤاب».

وأما «سفر اللاويين» أو «الأحبار» فيتضمن سرداً لمسائل العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية، والقرابين، والمحرمات من الحيوانات والطيور...

واللاويون هم من نسل «لاوي» أحد أبناء «يعقوب» وهم سدنة الهيكل، والمشرفون على شؤون المذابح والقرابين، والقوامون على الطقوس، والأعياد الدينية.

وأما «سفر العدد» فقد شغل معظمه بإحصائيات لأسباط بني إسرائيل، وجيوشهم، وأموالهم إلى غير ذلك مما يمكن إحصاؤه من شؤون حياتهم، ومن ثم سمي «سفر العدد» وبجوار هذا العدّ تناول هذا السفر الحديث عن سيرة بني إسرائيل في برية سيناء، وما بعدها، وفيه كثير من التنظيمات، والتعاليم الكهنوتية، والطقوس الدينية والمسائل الاجتماعية والدينية.

2 ـ «الأسفار التاريخية» وهي اثنا عشر سفراً، تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، واستقرارهم في فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم، وملوكهم، وأيامهم، والحوادث البارزة في معظم حياتهم. وهي أسفار «يوشع بن نون» و«القضاة» و«راعوت» و«صموئيل الأول والثاني» و«الملوك الأول والثاني» و«أخبار الأيام الأول والثاني» و«عزرا» و«نحميا» و«استير».

3 ـ «أسفار الأناشيد» أو «الأسفار الشعرية»، وهي أناشيد ومواعظ، وعددها خمسة أسفار: «سفر أيوب» و«مزامير داود» و«أمثال سليمان» و«سفر الجامعة» و«سفر نشيد الأناشيد».

4 ـ «أسفار الأنبياء» وعددها سبعة عشر سفراً، وهي: «أسفار أشعيا» و«سفر أرمياء» و«مراثي أرمياء» و«سفر حزقيال» و«سفر دانيال» و«سفر هوشع» و«سفر

يوئيل» و«سفر عاموس» و«سفر عوبيديا» و«سفر يونان» و«سفر ميخا» و«سفر ناحوم» و«سفر حبقون» و«سفر صنفيا» و«سفر حجي» و«سفر زكرياء» و«سفر ملاخي»[1].

وهذه الأسفار في مجملها تسرد تواريخ، ومعارك بني إسرائيل، كما تتضمن عادات وقيم اليهود وأخلاقهم وأمثالهم، وتسابيحهم، وأغاني ينسبونها إلى «داود» و«سليمان» عليهما السلام.

(1) انظر: فهرس العهد القديم من الكتاب المقدس. ص 45. طبعة دار المشرق 1989م. الناشر: المكتبة الشرقية. بيروت. لبنان.

obeikandl.com

ثانياً: قيمة هذه الأسفار:

وأهم أسفار «العهد القديم» هي أسفار القسم الأول، ويدعي اليهود أنها نزلت على «موسى» عن طريق الوحي الإلهي، إلا أن الأسلوب واللغة التي كتبت بها هذه الأسفار، إلى جانب ما اشتملت عليه من موضوعات وأحكام، وتشريعات جعلت الكثير يتشككون في صحة هذا الادعاء، بل إن الدراسات الحديثة تحدد الفترة التي كتبت فيها هذه الأسفار فيما بين القرن التاسع، والخامس قبل الميلاد[1] (بعد موسى بحوالي خمسة قرون) ويقرر التاريخ: أن «موسى» ـ عليه السلام ـ كتب نسخة من التوراة، ووضعها مع اللوحين في التابوت[2].

ومرت الأيام، وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة، حتى جاء عهد «سليمان» وفتح التابوت بعد وضعه في الهيكل، فلم توجد به نسخة التوراة، وحدثت بعد «سليمان» أحداث عجيبة، وصلت إلى الردة، وعبادة الأوثان، وتعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات. وبعد سقوط مملكة «إسرائيل» بقيت مملكة «يهوذا» تعاني الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهها يميل غالباً إلى الزندقة والكفر. وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك «يوشيا» (629 ـ 598 ق.م) ومال هذا الملك إلى العودة إلى الإيمان باتباع التوراة، رجاء أن يكون في هذا إنقاذ لمملكته، وكان يعاصره كاهن يسمى «حلقيا» انتهز فرصة هذا الميل عند الملك، فادعى ـ بعد سبعة عشر عاماً ـ من حكمه ـ أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس[3].

---

(1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، الدكتور علي عبد الواحد وافي. ص 16. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 25، فقرة 21، ص 197 من الكتاب المقدس (العهد القديم) مرجع سابق.

(3) انظر: إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، 1/ 288 ـ 291، دار الجيل. بيروت.

ولا يقبل الباحثون هذا الادعاء، إذ لا يعقل أن توجد نسخة من التوراة في بيت المقدس. ولا يراها أحد قبل عهد «يوشيا»[1]. تدعو إلى العودة للدين، والعمل بالتوراة، فكتب خلال هذه الأعوام (السبعة عشر) ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذلك - في الحقيقة - إلا من مخترعاته، ومما سمعه من أفواه الناس.

وهذا ينطبق أيضاً على معظم الأسفار الأخرى، حيث يُجْمِع الباحثون - ومن بينهم علماء يهود - أن سفر «حزقيال» وضع أولاً، ثم وضعت من بعده وأضيفت إليه الأسفار والكتب الأخرى. وهذا يدل على أن هذه الأسفار كلها من وضع اليهود، وليست وحياً إلهياً، ولكي يوهم الأحبار والكهان شعبهم، وشعوب العالم أجمع، حتى يخضعوا لهذه الأسفار - ادعوا نسبتها إلى أنبياء الله ورسله، ومن بينهم كليم الله «موسى» عليه السلام - ومبالغة منهم في الكيد - أدخلوا فيها بعض الأقوال والوصايا التي يشتم منها رائحة الحق[2]. ويمكن أن نورد بعض الدلائل على ذلك من واقع الأسفار نفسها.

1 - يوجد كثير من الاختلاف والتناقض بين تلك الأسفار: ففي كل من «سفري العدد والأخبار» شؤون ووصايا، وتشريعات مذكور بعضها في «سفر الخروج» السابق عليهما في الترتيب - بصيغ مختلفة بالزيادة والنقص. ومع أن «سفر التثنية» احتوى تكراراً لكثير من الأحداث والتشريعات التي وردت في الأسفار الثلاثة السابقة عليه، فإن فيما احتواه زيادة ونقصاً، ومغايرة لما ورد في هذه الأسفار، وهي أشهر من أن أذكر أمثلة لها.

وقد أورد «ابن حزم» نماذج كثيرة من هذه النصوص[3].

---

(1) ولد خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه، ويعلل الباحثون أن حلقيا انتهز فرصة ميل «يوشيا».

(2) البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج. ص 184. الطبعة الأولى 1990 منشورات جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا.

(3) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/ 146 - 147. طبعة محمد علي صبيح.

وفي كل من الأسفار الأربعة إشارات إلى ما سوف يحل ببني إسرائيل من مصائب، وشدائد، وإجلاء من أرض كنعان، وعودة إليها. . . مما لا يعقل معه أن يكون إلا في حالة تعدد الكتاب، واختلاف أوقات الكتابة، واستقاء الكتاب لمعلوماتهم من مصادر مختلفة بينها كثير من التناقضات، لاختلاف الميول والاتجاهات. بل إن هذا التناقض لا يمكن أن يصدر من عاقل يدرك ما يقول فضلاً عن أن ينسب إلى عالم الغيب والشهادة!!

وفي آخر إصحاحات «سفر التثنية» ذكر موت «موسى» ودفنه في الوادي في أرض مؤاب. ثم أعقب هذا الخبر بهذه العبارة: «ولم يعرف قبره إلى يومنا هذا» مما فيه دلالة حاسمة على أن هذا السفر قد كتب بعد موت «موسى» بمدة طويلة[1].

2 ـ وفي مجال العقيدة وردت عبارات في التوراة تتنافى مع ما أجمع عليه الأنبياء والمرسلون من لدن «آدم» إلى «محمد» ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، حيث ورد في «سفر الخروج»[2]: «ولما رأى الشعب أن «موسى» أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على «هارون» وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه؟ فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم، وبنيكم، وبناتكم، وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى «هارون» فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقال: هذه آلهتك يا إسرائيل. التي أصعدتك من أرض مصر».

فمن هذا المقطع من التوراة ـ التي يدين بها اليهود، وقدستها النصارى ـ نلاحظ أن بني إسرائيل لم يستطيعوا الاستقرار على عبادة الله وحده، لأن مسألة الألوهية لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل، فقد كانت المادية، والتطلع إلى الأسلوب

---

(1) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، ص 17. الطبعة الثانية 1389هـ 1969م. منشورات: المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت.

(2) سفر الخروج: 32. ص 208. ضمن مجموعة الكتاب المقدس. مرجع سابق.

النفعي في هـذه الحياة من أكثر ما يشغلهم، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد واضحاً، والدليل على ذلك كثرة أنبيائهم إذ كلما تجدد الشرك عندهم أرسل الله إليهم نبياً يجدد أمر الدعوة إليهم.

3 ـ وهذا النص ليس وحياً إلهياً على الإطلاق، لأنه ينسب صناعة التمثال إلى «هارون» ـ عليه السلام ـ وحاشا لنبي من أنبياء الله من هذه الأباطيل، وما زال هذا الاعتقاد سائداً عند اليهود والنصارى. ولا شك أن الذي قام بهذا الضلال ودعا اليهود إليه هو «السامري» كما أعلن القرآن ذلك، قال تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[1].

وهذا ليس النص الوحيد الذي ينسب فيه كتاب التوارة إلى الأنبياء مثل هذه الافتراءات «إن عقلية اليهود، وثقافتهم، وطبائعهم، واعتقاداتهم هي التي كانت ولا تزال توحي إليهم بأن يفرغوا ما في أنفسهم من قذاراتٍ وأدران على غيرهم من البشر حتى ولو كانوا أنبياء»[2].

ولذلك لم تخل أسفارهم من وصف الأنبياء بأحط وأقذر الصفات، فهذا «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ يصفونه بأحط ما يمكن أن يوصف به بشر، ويصمونه بما لا ترضى به السوائم فقد اتهموه بأنه كان يتاجر بامرأته، إذ جاء في «سفر التكوين»: «وحدث جوع في الأرض، فانحدر «إبرام» إلى مصر... وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال «لساراي» امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون، أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني، ويستبقونك، فقولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك، وحدث لما دخل «إبرام» إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة... فمدحوها لدى «فرعون» فأخذت إلى بيت «فرعون» فصنع إلى «إبرام» خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير، وعبيد وإماء...»[3].

---

(1) الآيتان 87، 88 من سورة طه.

(2) البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج. ص 94. مرجع سابق.

(3) سفر التكوين: 12. ص 86. ضمن مجموعة الكتاب المقدس. مرجع سابق.

هذا هو منهج كتاب الأسفار عند الحديث عن الأنبياء، وهم خلاصة البشر - فلم يستح كاتبو الأسفار، وخاصة «سفر التكوين» من أن يرينا نبياً من الأنبياء، وهو يبيع امرأته، ولم يذكر لنا كتّاب «العهد القديم» موقفاً واحداً من مواقف «أبي الأنبياء» ينم عن دعوة هذا الرجل لله، أو استجابة أحد له. بل إن بعض شراح «العهد القديم»، وهو القس «وليم مارش» قد راح في موسوعته يقول بغير حياء، وبغير عقل أيضاً: «ويظهر أن «إبرام» حين ترك «حاران» اتفق هو و«ساري» على أن تقول أخته، وهذا بحسب النظر إلى «إبرام» غريباً، فإنه ترك أرض ميلاده، إطاعة لأمر الله، وذهب غريباً ينتقل من مكان إلى مكان، ومع هذا ارتكب ذلك، وهو ما يؤول إلى أخذ امرأته منه، ولعل «إبرام» أتى ذلك، لينقذ نفسه، واتكل على نباهة امرأته في أنها تخلص نفسها من المصاعب، ولكن في كل الأحوال، ما أتاه دليلاً على ضعف الإنسان، ولا سيما إنسان سامي السجايا، محسوب من أفاضل البشر»[1].

وهكذا لا يستحيي كتاب «العهد القديم» أو شراحه من خلع مثل تلك المهانات على أنبياء الله، وخاصة نبي مثل «إبراهيم» أوحى الله إليه، وبلغ عن ربه، ورتبته عند الله على ضوء ما كلفه به من شرف النبوة، لا تجعله يقع في مثل هذا الإثم الذي يزعمه هؤلاء الكتاب.

وهذا «يعقوب» يصفونه بالغش والخداع والكذب، لينال ميراث أبيه دون أخيه «عيسو» ويصف «سفر التكوين»[2] المحاولات التي قام بها يعقوب، ليصل إلى غايته: «وحدث لما شاخ «إسحاق» وكلت عيناه من النظر، أن دعا «عيسو» ابنه الأكبر، وقال له: يا بني إنني قد شخت، ولا أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ عدتك، واخرج إلى البرية، وتصيد لي صيداً، واصنع لي طعاماً كما أحب، وأتني به لآكل

---

(1) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، وليم مارش 1/ 113. صادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. بيروت 1973م،

(2) انظر: سفر التكوين: إصحاح 27. ص 108 ضمن مجموعة الكتاب المقدس (العهد القديم).

منه حتى تباركك نفسي قبل أن أموت، وكانت «رفقة» سامعة إذ تكلم «إسحاق» مع «عيسو»... فنقلت ذلك لـ «يعقوب» ابنها، وقالت له: اذهب إلى الغنم، وأحضر لي جديين جيدين، فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، وتحضرها إلى أبيك ويباركك... فدخل «يعقوب» على أبيه، وقال: أنا «عيسو» بكرك، قد فعلت كما كلمتني، قم اجلس، وكل من صيدي لكي تباركني... وينهي كاتب السفر هذا الافتراء على «يعقوب» بقوله: إن «إسحاق» قال لـ «يعقوب» تقدم وقبلني يا ابني، فتقدم وقبله، فشم رائحة ثيابه ـ وكان قد ارتدى ثياب أخيه «عيسو» ـ واعتقد أنه «عيسو» فدعا له، وباركه قائلاً: فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر، لتستعبد لك الشعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين».

ويظهر من النص الأخير أن اليهود يريدون أن يضفوا الشرعية على نظرتهم إلى الأمم الأخرى، والتي ينبغي ـ كما يزعمون ـ أن تكون مستعبدة، وخادمة لهم، باعتبارهم شعب الله المختار، فمن يلعن اليهود يكون ملعوناً، ومن يباركهم يكون مباركاً في الأرض. ونسي كاتب هذه الأكاذيب، أن أول من يستحق أن تنزل عليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين، من يتهم الأنبياء والمرسلين بما لا يليق بعوام الناس فضلاً عن خواصهم.

وهذا «موسى» ـ عليه السلام ـ لم يسلم من افتراءاتهم، ومن أبرز التهم التي ألصقوها به، ما يذكره «سفر الخروج»[1] من موافقة «موسى» على سرقة الإسرائيليين حلى المصريين، تنفيذاً لوصية الرب التي أوصاه بها، وبلغها إلى قومه فعملوا بها: «وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حين تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين».

---

(1) انظر: سفر الخروج: إصحاح 3/ 21 ـ 22، ص 172 من الكتاب المقدس (العهد القديم).

ويعلق الأستاذ «محمد عزة دروزة» على هذا النص بقوله: «ومهما كان من أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب، يدل على ما كان، وسيظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير، وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن في حالة حرب، ودفاع عن النفس، كما أنه كان ذا أثر شديد في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذراريهم، ثم فيمن دخل في دينهم من غير بني جنسهم»[1] وترسم التوراة المزعومة صورة بشعة لـ«داود» عليه السلام حيث جاء فيها: «أرسل «داود» قائده «يؤاب» وجنوده، ومن بينهم جندي اسمه «أوريا» فخربوا «بني عمون» وحاصروا «ربة» وأما «داود» فأقام في «أورشليم» وفي المساء قام «داود» عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى امرأة تستحم، وكانت جميلة المنظر جداً، فأرسل في طلبها، فجيء بها إليه، وزنى بها فحملت المرأة، وأرسلت إلى «داود» تخبره بذلك، فما كان منه، لكي يستر الفضيحة إلا أن يرسل في طلب زوجها «أوريا» ولكن الرجل لما رجع لم يتصل بزوجته، ورفض التنعم، بينما إخوانه يواجهون الموت، وحينئذ أعاده إلى الجبهة، ومعه مكتوب من «داود» إلى «يؤاب» يقول فيه: «اجعلوا «أوريا» في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب فيموت»[2].

وبعد موته ضمها «داود» إلى بيته زوجة، وهذه الزوجة هي أم «سليمان» ـ عليه السلام ـ الذي حبلت به بعد أن غدت زوجة «داود» الشرعية، أما الولد الذي حملت به سفاحاً منه، فقد ضربه الله وأماته انتقاماً من داود «لأنه استاء من عمله الفاحش»[3].

وقد بلغ التزوير منتهاه في التوراة عند حديثها عن نبي الله «سليمان» حيث اتهمته بالشرك الأكبر، والعياذ بالله تعالى. جاء في الإصحاح الحادي عشر من «سفر

---

(1) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. ص 68. مرجع سابق.

(2) راجع الإصحاح 1 من سفر صموئيل الثاني، فقرة 15. ص 593 من الكتاب المقدس والعهد القديم.

(3) المرجع السابق الإصحاح 12. آية 24. ص 595 من الكتاب المقدس (العهد القديم).

الملوك الأول» ما يلي: وأحب الملك «سليمان» نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. . . من الأمم الذين قال فيهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، ولا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، والتصق «سليمان» بهؤلاء بالمحبة. وكان له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه مع الرب إلهه[1].

وبعد، فهذه نبذة مختصرة عن بعض ما اشتملت عليه التوراة من مزاعم وأباطيل في حق الله، ثم في حق أنبيائه ورسله، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنها حرفت وبدلت، وخضعت للميول والرغبات البشرية، خاصة إذا علمنا أن اليهود يسعون إلى السيطرة على شعوب الكرة الأرضية قاطبة، وتسخيرها لخدمتهم، ولا يتم لهم ذلك إلا بنشر الرذائل والفساد في المجتمع البشري بالتركيز على الجانب المادي في الإنسان، ومحاولة إشباعه بإغراقه في الشهوات والملذات البهيمية. ولتحقيق هذا الهدف لم يتورعوا في نسبة أمثال هذه الأباطيل إلى المصطفَيْنَ الأخيار من الأنبياء والرسل، حتى يضفوا الشرعية على هذه الأعمال الدنيئة، ويقنعوا العوام باعتبارها من سيرة هذه الخلاصة البشرية. نعوذ بالله من الضلال والإضلال.

ولو أردنا أن نتتبع مثل هذه الادعاءات لما وسعنا المقام، وذلك يعود إلى ضخامة الموضوع وتشعبه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفكر اليهودي يغلب عليه طابع السرية، والتغير وفق مقتضيات الأمور، وهم في جميع الأحوال، يحاولون أن يضفوا على هذه الأفكار طابع القداسة والإجلال «لأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها إلا في السماء[2]. ولقد خلد القرآن هذا الخلق فيهم بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(1) انظر: سفر الملوك الأول. الإصحاح 11. فقرة 3 ص 651 من الكتاب المقدس (العهد القديم).

(2) الكنز المرصود في قواعد التلمود، لروهلنج، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ص 32 ـ 33. بتصرف. الطبعة الأولى 1899م. مطبعة المعارف بمصر.

﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

والدليل على ذلك أنهم استبدلوا «التلمود» بالتوراة، ويعتبره أكثر اليهود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى «موسى» التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يديه التلمود شفاهاً، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة «للتلمود» بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة[2].

وبعد ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ خشي الحاخامات على هذه الروايات من الضياع فجمعت في كتاب سُمي «المشنا» ومعناها الشريعة المكررة، وهي أول لائحة وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها «يهوذا هاناشي» فيما بين 190 و200م. هي خلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة «الفريسيين» التابعين لأهواء النفس، ونشطت حركتهم بعد ظهور «عيسى بن مريم» ـ عليه السلام ـ مما أدى أخيراً إلى تسجيل المبادئ الهدامة التي قامت عليها دعوة «الفريسيين» التي استنكرها المسيح[3].

واستعصت «المشنا» على بعض القراء، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة، وشروحاً مسهبة، وسميت هذه الحواشي وتلك الشروح باسم «جمارا» ومعناها الإكمال، فبعد أن تمت «المشنا» جمعاً وتدويناً، بدأ أحبار اليهود وكهانهم يشرحونها، ويعلقون عليها، ويضيفون إليها ما يرون إضافته، ويحذفون ما يرون ضرورة لحذفه من أفكار ونصوص. و«الجيمارا» نوعان: «جمارا فلسطين أو أورشليم» و«جمارا بابل» وهما يكونان «التلمود الأرشليمي والبابلي» والتلمودان لا

---

(1) الآية 79 من سورة البقرة.

(2) انظر: اليهودية، الدكتور أحمد شلبي، 266. الطبعة السابعة 1984م. مكتبة النهضة المصرية.

(3) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان ص 11 ـ 12. الطبعة الرابعة 1401هـ 1981م. دار النفائس. بيروت.

يختلفان في النص الأصلي «المشنا» وإنما يختلفان فيما أضيف إليهما من شروح وقصص وخرافات . . . [1] .

وقد وضعت تراجم عديدة للتلمود إلى عدة لغات، لكنها محذوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوز الاطلاع عليها لغير الحاخاميين المتقدمين في اللاهوت. وحادثة فريدة أنموذجية وقعت في «دمشق» تعطينا فكرة واضحة عن حرص اليهود على سرية التلمود، ففي حادثة الراهب «توما» الذي قتل هو وخادمه في «دمشق» عام 1840م للحصول على الدم لخلطه بعجين الفطير المقدس، وقد جرت عملية الذبح واستصفاء الدماء البشرية في جو من الفرح والرقص والغناء، وذلك حتى تتم المراسم والطقوس حسب شريعة هؤلاء المردة التي اصطنعوها لأنفسهم ـ قبض على الحاخام «موسى أبو العافية» الذي اعتنق الإسلام فيما بعد، وقام بترجمة نصوص سرية من التلمود، حاول اليهود في دمشق وغيرها من بلاد الأرض دفع أموال طائلة مقابل عدم نشر هذه الترجمة حتى لا تثير الرأي العام ضدهم [2] .

ومجمل القول: فإن التلمود من الكتب الشديدة السرية التي لا يحصل عليها الإنسان بأي حال، فهو غير مسموح بتداوله لغير اليهود. وقد تمخض عنه في هذا العصر كتاب آخر يسمى «بروتوكولات حكماء صهيون» وهو البرنامج الفعلي لما جاء في التلمود من أفكار شيطانية، ووساوس يهودية، ذات مرامي، وطموحات خبيثة تستهدف البشرية جمعاء بقصد السيطرة عليها، وحكمها حكماً يهودياً [3] .

ومن هنا نستطيع القول بكل يقين: إن الدين اليهودي ـ الذي بين أيدينا ـ لا يستند في كثير من أحكامه وتشريعاته إلى الوحي الإلهي، إذ يظهر في هذه الشريعة كثير من مظاهر الانحراف والتضارب، واختلاط المسائل، وهذا دليل على أن هذه

---

(1) البحث عن الحقيقة، محمد أبو القاسم الحاج ص 192. مرجع سابق.

(2) لمزيد من التفصيل في هذه القضية راجع رواية: «دم لفطير صهيون» تأليف: نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى 1971م. الناشر: دار النفائس. بيروت. وهي رواية مدعمة بالوثائق والمقتطفات الحقيقية من ملفات التحقيق.

(3) البحث عن الحقيقة، محمد أبو القاسم الحاج. ص 205. مرجع سابق.

الأسفار من صنع أيديهم، وأنها كتبت في عصور متعددة، لأن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التي كانوا يسيرون عليها في ذلك العصر. وأن الكهنة كانوا يعتمدون على ما سمعوه، وما تلقاه الخلف عن السلف من أخبار وأساطير، وأقوال. بل إن الكهنة كثيراً ما كانوا يكتبون ما يدور بخيالهم من أمان وأحلام، على أنها حقائق واقعة، يضاف إلى ذلك قرارات المحافل اليهودية التي تعتبر مصدراً مهماً للأسفار.

«فعلى مر التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم، لتصير جزءاً من الأسفار المقدسة، وعندما اتخذت الأسفار وضعها النهائي قبيل الميلاد، لم يتوقف زعماء اليهود عن محاولاتهم تقديس هذه القرارات، فدفعوا بها إلى التلمود، ثم بعد ذلك إلى بروتوكولات حكماء صهيون، وليس هذا وذاك عندهم بأقل قداسة من العهد القديم»[1].

يقول الدكتور «موريس بوكاي»: إذا كانت المسائل التي تطرحها رواية القرآن لم تلق - حتى يومنا - توكيداً من المعطيات العلمية، فإنه لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق، وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون. ذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن، على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم - الذي نملكه اليوم - قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية.

وكيف لا ندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلاً عن رواية الخلق في التوراة، قد كتب بأقلام كهنة عصر النفي البابلي، وقد كان لهؤلاء الكهنة أهداف تشريعية... فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية[2].

---

(1) اليهودية، الدكتور أحمد شلبي ص 256. مرجع سابق.

(2) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. الدكتور موريس بوكاي ص 172. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا.

ثالثاً: الإنجيل أو العهد الجديد:

استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة، أي الموحى بها، ولكن بمعانيها دون ألفاظها. وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين: فالمجموعات هي: مجموعة الأناجيل الأربعة، ومجموعة رسائل «بولس» وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية، وعددها سبع رسائل، وأما السفران فهما «سفر أعمال الرسل» و«سفر رؤيا يوحنا».

وتمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعة العهد الجديد، وتشغل حيزاً كبيراً يقرب من نصف مجموع صفحات العهد الجديد. وهي إنجيل «متى» وإنجيل «مرقص» وإنجيل «لوقا» وإنجيل «يوحنا».

1 ـ إنجيل «متى»:

أقدم الأناجيل جميعاً، وقد كتبه باللهجة الآرامية، أو اللغة العبرية، ولكن هذا الأصل فقد، والموجود الآن ترجمته إلى اللغة اليونانية، ولا يعرف عن طريق يقيني تاريخ تدوينه، ولا من ترجم هذا الإنجيل، ولا في أي عصر ترجم، ولا شك أن ذلك كله يؤدي إلى فقد الثقة في هذا الإنجيل، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين، والترجمة وملابساتها، ليمنعه منهج البحث العلمي من الاسترسال في التسامح، ليصل إلى الجهل بمعرفة أحوال المترجم من حيث إنه ثبْت ثقة، أمين في النقل، عالم باللغة المنقول منها والمنقول إليها، فقيه في المسيحية حجة فيها. . .

2 ـ إنجيل مرقص:

وقد ألفه «يوحنا» الملقب بمرقص ـ كما يقول المؤرخون ـ وهو من غير الحواريين الاثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح، ومن أوائل الذين استجابوا لدعوة المسيح

«بأورشليم» فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس ـ في اعتقاد النصارى ـ من بعد رفعه، وألهموا التبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادءها وأحكامها. وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه «بطرس» رئيس الحواريين، ولا يعرف تاريخ تأليفه على وجه الدقة. وقد كان «مرقص» ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه «بطرس».

3 ـ إنجيل لوقا:

وهو قسيس، وأحد التابعين، وقد ألفه باللغة اليونانية في الفترة التي ألف فيها «مرقص» إنجيله، وافتتحه بعبارة تدل على أنه قد كتبه لعظيم يسمى «ثيوفيلوس» حيث يقول في فاتحته: «لقد كتب كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا، حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهوداً لهذه الحوادث، ولما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثاً دقيقاً، وتتبعتها من نشأتها الأولى، لذلك رأيت من الخير أن أدونها لسعادتك أيها العظيم «ثيوفيلوس» في صورة مسلسلة حتى تقف على الرأي اليقيني في التعاليم التي تلقيتها»[1].

وهذا النص يبين لنا بوضوح أن هذا الإنجيل لم يكتب في حياة المسيح، وليس وحياً إلهياً، وإنما هو سرد لحوادث حصلت منذ فترة ليست بالقصيرة عن أناس مجهولين. بل إن جوانبَ من شخصية الكاتب نفسه غير معروفة على وجه الدقة، فبعض الباحثين يقول: إنه ولد «بأنطاكيا» وإن حرفته طبيب، ومن قائل إنه من أصل روماني، وإن مهنته التصوير. ولم يتفقوا إلا على أنه من تلاميذ «بولس» ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حواريه[2].

---

(1) إنجيل لوقا. فقرات 1 ـ 7. من الإصحاح الأول. ص 186 من الكتاب المقدس (العهد الجديد). المطبعة الكاثوليكية 1989. التوزيع: المكتبة الشرقية. بيروت ـ لبنان.

(2) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. ص 45. الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

4 ـ إنجيل «يوحنا»:

أحد الحواريين، وأحبهم إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه، ألفه باللغة اليونانية، وكان تأليفه إياه عام 90 بعد الميلاد على أرجح الأقوال، فهو أحدث الأناجيل جميعاً. ومع أن جميع النحل المسيحية اليوم مجمعة على اعتماد الإنجيل، واعتباره مقدساً، واعتماد صحة نسبته إلى «يوحنا» المذكورة، فإن هناك من ينكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل «يوحنا» الحواري، وينكرون كذلك جميع ما أسند إليه من أسفار العهد الجديد، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين. وهذا الإنكار لم يكن من ثمرات الأجيال في العصور المتأخرة، بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، فقد كانت بعض الفرق المسيحية تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى «يوحنا» من أسفار.

ويرتاب كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى «يوحنا» بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه، ومن هؤلاء: العلماء الذين أشرفوا على تأليف «دائرة المعارف البريطانية» وقد بلغ عددهم خمسمائة عالم من علماء النصارى؛ فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه: «لا مرية في أن مؤلف إنجيل «يوحنا» شخص آخر غير «يوحنا بن زبدي» الحواري المشهور. وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو «يوحنا» الحبيب إلى المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو «يوحنا» الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً[1].

ومن هؤلاء أيضاً مؤلفو «دائرة المعارف الفرنسية» فقد ذكروا: أنه ينسب إلى «يوحنا» هذا الإنجيل، وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مجال الأديان ـ لا تسلم بهذه النسبة[2].

هذه هي الأناجيل الأربعة المعتمدة في الدين المسيحي، وهي ـ كما رأينا ـ لم يملها المسيح، ولم تكتب في حياته، ولم تنقل على أنها وحي إلهي، ولكنها كتبت

---

(1) نقلاً عن كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، الدكتور علي عبد الواحد وافي ص 78. مرجع سابق.

(2) نقلاً عن المرجع السابق.

من بعده، ويروي لنا التاريخ أنه كانت في العصور الأولى للمسيحية أناجيل أخرى كثيرة، ثم أرادت الكنيسة في أواخر القرن الثالث الميلادي، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة ـ في اعتقادها ـ فاختارت هذه الأناجيل الأربعة، وهي تشتمل على أخبار المسيح، وصلواته، وأقواله وعجائبه من بدايته إلى نهايته في هذا العالم، وفيها قليل من الشرائع التي تتعلق بالزواج والطلاق. . .

وقبل أن نغادر الكلام في الأناجيل إلى الكلام في الرسائل، أحب أن أقف وقفة أمام إنجيل آخر يختلف عن بقية الأناجيل حول قضايا رئيسة في مجال العقائد والعبادات، ويقترب إلى حد كبير من موقف القرآن من تلك القضايا، ألا وهو إنجيل «برنابا» وقد كان معروفاً عند النصارى منذ أقدم عصورهم، فقد ورد ذكره في قائمة الكتب المنهي عن قراءتها في القرار الذي أصدره «جلاسيوس» بابا الكنيسة الكاثوليكية «بروما» (492 ـ 496م) وهذا يدل على أنه كان معروفاً عند المسيحيين قبل البعثة النبوية بنحو قرنين من الزمان، ولعل تحريم قراءته كانت وراء اختفائه فترة طويلة حتى ظهر في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي. وأقدم نسخة عثر عليها ـ لهذا الإنجيل ـ مكتوبة باللغة الإيطالية. عثر عليها «كريمر» أحد مستشاري ملك «بروسيا» عام 1709م وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة 1738م إلى البلاط الملكي بـ«فيينا».

وغني عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة الأصلية التي كتب بها هذا الإنجيل، فإذا صح أن مؤلفه «برنابا» فإنه من الراجح أن يكون قد كتبه بإحدى اللغات الثلاث: اليونانية ـ الآرامية ـ العبرية، لأن اللغة الإيطالية لغة حديثة، لم تنفصل عن أمها اللاتينية إلا في القرن السادس عشر الميلادي[1].

وهو يشبه الأناجيل الأربعة في ذكر قصة المسيح من ولادته إلى اتهامه، ويحكي محاوراته، ومناقشاته، وخطبه. ولكنه يخالف تلك الأناجيل في كثير من نواحي العقيدة، وشخصية المسيح، وتاريخه.

---

(1) انظر: الأسفار المقدسة. علي عبد الواحد وافي. ص 95 ـ 96. مرجع سابق.

والموضوعات التي خالف فيها ذلك الإنجيل ما عليه المسيحيون تتلخص في أربعة أمور:

أ ـ أنه يقرر أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً، وأنه ليس إلهاً، ولا ابناً للإله. ويقول في مقدمة إنجيله: «أيها الأعزاء، إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه «يسوع» المسيح رحمة عظيمة للعاملين، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين، فأخذوا يبشرونَ بتعاليم ممعنة في الكفر، داعين أن المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً، مجوِّزين أكل كل لحم نجس، وقد ضل مع هؤلاء «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسف والأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته»[1].

ب ـ أنه يقرر أن المسيح لم يصلب، ولكن الله ألقى شبه المسيح على «يهوذا الأسخريوطي» فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح. وفي هذا يقول: «ولما دنت الجنود مع يهوذا» من المحل الذي كان فيه «يسوع» سمع «يسوع» دنو جم غفير، فانسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً. فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه: «جبريل، وميخائيل، ورفائيل، وأوريل» أن يأخذوا يسوعاً من العالم... ودخل «يهوذا بعنف إلى الحجرة التي عرج منها بالمسيح، وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله بأمر عجيب، فتغير «يهوذا» في النطق وفي الوجه، وأصبح شبيهاً بيسوع في كل شيء... أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش، لينظر أين هو المعلم؟ لذلك تعجبنا، وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا أنسيتنا الآن...؟[2].

جـ ـ أنه يقرر أن المسيح المنتظر ليس هو «يسوع» بل هو «محمد» ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد ذكر «محمداً» باللفظ الصريح وقال: إنه رسول الله. ويروي عن

---

(1) إنجيل برنابا. الآيات 2 ـ 9. في المقدمة. ص 3. ترجمة: الدكتور خليل سعادة. تقديم: محمد رشيد رضا. توزيع: مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) إنجيل برنابا: الفصل الخامس عشر بعد المائتين الفقرات 1 ـ 5. والفصل السادس عشر بعد المائتين 1 ـ 7.

المسيح أنه قال: «إن الآيات التي يظهرها الله على يدي، تدل على أني أتكلم بما يوحى إلي به، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه، لأني لست أهلاً لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه «مسيا» الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية»[1].

ويذكر الفصلان الثالث والأربعون والرابع والأربعون كلاماً وافياً في تبشير المسيح بمحمد ـ صلى الله عليهما وسلم ـ لأن التلاميذ طلبوا من المسيح، أن يصرح لهم به، فصرح بما يعلن حقيقته، ويبين ما له من شأن[2].

د ـ يخالف هذا الإنجيل كذلك العقيدة اليهودية والمسيحية، فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذي تقدم به «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ للفداء، فيبين أن هذا الذبيح هو «إسماعيل» وليس «إسحاق» كما هو مذكور في التوراة. وهذا نص رواية «برنابا» ـ على لسان المسيح: «الحق أقول لكم إنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك «جبريل» تعلموا خبث كَتَبَتنا، وفقهائنا، لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله؟ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. فأجاب «إبراهيم» ها هو عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريده الله، فكلم الله حينئذ «إبراهيم» قائلاً: خذ ابنك بكرك، واصعد إلى الجبل، لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون «إسحاق» البكر؟! وهو لما ولد كان «إسماعيل« ابن سبع سنين»[3].

هذا هو إنجيل «برنابا» وقد تضمن صورة واضحة للعقائد السليمة، والفكر الصائب الذي دعا إليه الأنبياء جميعاً، وكاتبه قديس من قديسي المسيحيين، ورسول من رسلهم، وركن من الأركان التي قامت عليها الدعوة للمسيحية الأولى، ولكن المسيحيين يرفضون هذا الإنجيل لا لشيء إلا لأنه يخالف ما تواطؤوا عليه من عقائد

---

(1) المرجع السابق نفسه. الفصل الثاني والأربعون، الفقرات 14 ـ 15، 9، 10 ص 64 ـ 65.

(2) انظر: إنجيل برنابا. ص 66 ـ 67. مرجع سابق.

(3) إنجيل برنابا: الفصل الرابع والأربعون. الفقرات 5 ـ 11. ص 68. مرجع سابق.

باطلة، لا سند لها من نص صحيح، ولا عقل سليم، على الرغم من الشواهد التاريخية التي أثبتت وجود هذا الإنجيل قديماً، ثم العثور عليه في جو مسيحي صرف، واشتماله على معلومات دقيقة حول التوراة، لا يعرفها إلى الخواص من علماء الدين. . . أقول على الرغم من كل ذلك رفضت النصارى هذا الإنجيل، واتهموا بعض المسلمين بأنهم وراء وضع هذا الكتاب، وأن مؤلفه نسبه إلى «برنابا» لترويج ما تضمنه. وفات هؤلاء أن المسلمين ليسوا في حاجة لغير كتابهم في الاستدلال على صحة عقائدهم، وبطلان كل عقيدة تخالف القرآن الكريم، ذلكم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو الكتابُ الذي نتخذه دليلاً في الحكم على أناجيلهم المزعومة، بأنها مخالفة لتعاليم المسيح الصحيحة الثابتة، وتتعارض مع منهج البحث العلمي، وترفضها العقول السليمة.

رابعاً: بقية أسفار العهد الجديد وكاتبوها:

تعتبر الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد عند النصارى. أما بقية أسفار هذا العهد فعددها ثلاثة وعشرون سفراً، منها سفران منفردان وهما «سفر أعمال الرسل» للوقا. وسفر «رؤيا يوحنا» ومجموعتان من الأسفار تضم إحداهما أربعة عشر سفراً، وهي رسائل «بولس». وتضم الأخرى سبعة أسفار، وهي «الرسائل الكاثوليكية». وبعد الحديث عن مجموعة الأناجيل. ننتقل إلى التعريف ببقية الأسفار بإيجاز شديد:

1 ـ «**سفر أعمال الرسل**» وينسب إلى «لوقا» صاحب الإنجيل الثالث، وقد كتبه باللغة اليونانية، في العصر الذي كتب فيه إنجيله، وموضوعه: تاريخ حياة الحواريين، وطائفة من التلاميذ والتابعين، ممن كان لهم أثر في نشر تعاليم المسيح، لأن لفظ الرسل يعني عندهم الحواريين، لأنهم يعتقدون أن هؤلاء قد أرسلهم الرب، وهو «عيسى» إلى مختلف الشعوب لنشر المسيحية بين الناس، وعددهم أحد عشر حوارياً، وقد ضم إليهم فيما بعد الرسول «بولس» الذي ظهر له المسيح بعد رفعه ـ حسب اعتقادهم ـ وأرسله إلى الأمم الضالة.

2 ـ «**رؤيا يوحنا**» أو «السفر النبوي» صاحب الإنجيل الرابع، وقد كتبها باللغة اليونانية في أواخر القرن الأول الميلادي. وهي رؤيا منامية رآها الرسول «يوحنا» وأوحيَ إليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية، وتعنى ببيان ألوهية المسيح، وسلطانه في السماء، وعلمه بحال الكنيسة، والقوامين على المسيحية من بعده. وتقرر أن الناس سيبعثون يوم القيامة، وأن المسيح هو الذي يجازيهم عن أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسالة إلا في سنة 363م فقد كانت قبل ذلك موضع شك في حقائقها، وصحة نسبتها إلى صاحبها، حتى إن مجمع «نيقية» وهو من أكبر مجامعهم المنعقد عام 325م رفض الاعتراف بصحتها[1].

---

(1) انظر: الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي. ص 105. مرجع سابق.

3 ـ **رسائل «بولس»** : وعددها أربع عشرة رسالة، كتبها باللغة اليونانية في الفترة ما بين عام 45 ـ 56م منها عشر رسائل إلى بعض البلاد والشعوب، وأربع رسائل إلى تلاميذه: وهي رسالة إلى الرومان، ورسالتان إلى أهل «قورنثوس» ورسالة إلى أهل «غلاطيا» ورسالة إلى أهل «أفسوس» ورسالة إلى أهل «فيلبي» ورسالة إلى أهل «كولوس» ورسالتان إلى أهل «تسالونيكي» ورسالة إلى العبريين. أما رسائل التلاميذ الأربعة: فهي رسالتان إلى تلميذه «تيموثاوس» ورسالة إلى تلميذه «تيطس» ورسالة إلى تلميذه «فيليمون»[1].

وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة بأكثر من الأناجيل، ولهذا تنسب هذه المسيحية إلى «بولس» أكثر مما تنسب إلى سواه، حتى إن كلمة الرسول إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده.

فلا بد إذن من العناية بتاريخه، لنتعرف: أكانت منزلته في المسيحية الأولى كمنزلته في المسيحية الحاضرة؟ حتى يكون حلقة الوصل بينهما، ولنتبين أنه صادق النقل، حتى تكون الثانية امتداداً للأولى، وصورة طبق الأصل لها. وسوف نعتمد في ذلك على المصادر المسيحية نفسها: في سفر «أعمال الرسل» تفصيل لحياة «بولس» فقد جاء فيه: أنه ولد في «طرسوس» وتربى في «أرشليم»[2] واسمه الأصلي «شاول» وهو من أصل يهودي من «الفريسيين». وقد كان في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية ـ في حياة المسيح ومن بعده ـ ومن أشدهم حرباً عليها وعلى أهلها، فكان يسطو على معابد المسيحيين، ويقتحم بيوتهم، ويغير عليهم في الطرقات... كما جاء في سفر الأعمال[3]. ولكن هذا السفر يعود فيقول: إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وآذى أهلها ذلك الإيذاء قد انتقل من الجبت والطاغوت فجأة ومن غير مقدمات إلى المسيحية «فبينما هو سائر في الطريق إلى «دمشق» ظهر له المسيح في عمود من نار، وكلفه بتبليغ رسالته إلى الأمم،

---

(1) انظر: فهرس العهد الجديد. ص 3 من الكتاب المقدس. مرجع سابق.

(2) الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين.

(3) انظر: الإصحاح الثامن. فقرة: 3 ص 394 من الكتاب المقدس (العهد الجديد).

وهدايتهم إلى المسيحية، ومن ثم أطلق عليه اسم «حواري المسيح إلى الأمم الكافرة» وعندما ذهب إلى الحواريين بعد ذلك أوجسوا منه خيفة، وظنوا أنه يتظاهر بالإيمان للمكر بهم، وتدبير الكيد لهم، ولكن «برنابا» شهد أمامهم بصحة إيمانه، وقص عليهم قصة هدايته، وظهور المسيح له، فاطمأنوا إليه»[1].

4 ـ **الرسائل الكاثوليكية**: وهي سبع رسائل، كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، ويرجع أقدمها إلى سنة 50م وأحدثها إلى سنة 90م وهي: رسالة «يعقوب بن زيدي» أخي «يوحنا» وكان حوارياً كأخيه، وهو أول أسقف لكرسي «أرشليم»[2].

ورسالتان لـ «بطرس» واسمه الأصلي «سمعان» وهو رئيس الحواريين جميعاً، وأشدهم ملازمة للمسيح، وقد وقّف جهوده على التبشير بالمسيحية ـ في حياة المسيح ومن بعده ـ في كثير من البلاد، فذهب إلى «أنطاكيا» وغيرها من البلاد وانتهى به المطاف إلى «روما» حيث قبض عليه، وزج به في السجن. وحكم عليه بالإعدام صلباً عام 70م. وإليه يرجع الفضل في انتشار المسيحية في الدولة الرومانية، وهو الذي أنشأ كنيسة «روما» وهي الكنيسة الكاثوليكية، ويعتبر رؤساؤها خلفاء «بطرس» ولذلك تسمى الكنيسة البطرسية[3].

وثلاث رسائل لـ «يوحنا» وهو من كبار الحواريين، وينسب إليه الإنجيل الرابع من الأناجيل المعتمدة عند الكنيسة، و«السفر النبوي» أو «رؤيا يوحنا» ويقال: إنه كان أقرب الحواريين إلى قلب «عيسى» وأحبهم إليه، حتى لقد استودعه أمه السيدة «مريم» وهو فوق الصليب[4].

ورسالة «يهوذا» أحد الحواريين. وهو غير «يهوذا الأسخريوطي» الذي شهد على المسيح وخانه، كما جاء في إنجيل «برنابا» وقد اختلف في اسمه ونسبه، وقد قالوا إنه مات شهيداً ببلاد العجم[5].

---

(1) انظر: الإصحاح التاسع. فقرات 26 ـ 28. ص 398 من الكتاب المقدس (العهد الجديد).

(2) انظر: مدخل رسالة القديس يعقوب. ص 721 من الكتاب المقدس (العهد الجديد).

(3) انظر: الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي. ص 68 ـ 69. مرجع سابق.

(4) انظر: المرجع السابق ص 69.

(5) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. ص 64 ـ 65. مرجع سابق.

خامساً: قيمة مصادر العهد الجديد:

بعد هذه الجولة السريعة حول أسفار العهد الجديد ـ كما هي عند أصحابها ـ لابد من وقفة أمام ما اشتملت عليه هذه الأسفار خاصة في مجال العقيدة التي هي القاسم المشترك بين جميع رسالات السماء. ولا أريد أن أحصي كل أوجه النقد التي وجهت إلى تلك المصادر، فإن ذلك يحتاج بيانه إلى مجلدات، ولكني أكتفي بإيراد ما يتعلق بالمسائل الكلامية التي هي موضوع الرسالة:

جاء في كتاب «سوسنة سليمان»: «أن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة إليها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بينه «المجمع النيقاوي»: هي الإيمان بإله واحد، ضابط للكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى ولا يرى، وبرب واحد، يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي كان به كل شيء، والذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، وصلب حياً على عهد «بيلاطس» وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وسيأتي بمجد، ليدين الأحياء والأموات. ولا فناء لملكه. والإيمان بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الابن يسجد له ويمجد[1].

ويستفاد من هذا النص أن أساس العقيدة ـ عند النصارى ـ يقوم على ثلاثة عناصر:

1 ـ التثليث، والإيمان بثلاثة آلهة.

2 ـ صلب المسيح فداءً عن الخليقة، وقيامه من قبره، ورفعه إلى السماء.

3 ـ أن المسيح يدين الأحياء والأموات.

---

(1) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص 137. طبع في بيروت 1886م برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة.

وقضية التثليث هذه طارئة على المسيحية بعد مجمع «نيقية» سنة 325م حيث كانت المسيحية أول عهدها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد، وتقرر أن المسيح بشر أرسله الله إلى بني إسرائيل، ليعيدهم إلى جادة الطريق التي تنكبوها، ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح، حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية، فانقسم المسيحيون إلى قسمين: قسم جنح أتباعه إلى عقيدة الشرك. والقسم الآخر - وهم الأغلبية - ظل أصحابه محافظين على عقيدة التوحيد. وعندما احتدم الخلاف بين الطرفين، أمر «قسطنطين» إمبراطور الرومان: بأن يعقد مجمع ديني يضم ممثلين لجميع الكنائس، للفصل في هذا الموضوع.

فاجتمع في «نيقية» ثمانية وأربعون وألفا قس، ولكنهم لم يستطيعوا الإجماع على رأي. ويبدو أن «قسطنطين» كان يجنح إلى الرأي القائل بألوهية المسيح، ولعل ذلك أقرب إلى وثنيته، وإلا ما هو الدافع إلى هذا الاتجاه؟ خاصة وأن اعتناقه للمسيحية لم يتم إلا وهو على فراش الموت[1]. ولذلك اختار من بين المجتمعين (318) من أشد أنصار هذا المذهب، وعهد إليهم أمر الفصل في هذه القضية وغيرها من القضايا، على أن يكون رأيهم مذهباً رسمياً يعتنقه جميع المسيحيين. فانتهوا إلى عدة قرارات أهمها: القول بألوهية المسيح، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان.

ثم عقد في سنة 381م مجمع آخر «بالقسطنطينية» وكان عدد أعضائه 150 عضواً، وانتهى المجمع بإقرار الرأي القائل: بألوهية روح القدس، لينهي بذلك النزاع الذي كان قائماً بين المسيحيين حول هذا الموضوع.

وبذلك تقرر التثليث في الديانة المسيحية، وأصبح هو العقيدة الرسمية، ولكن عقيدة التوحيد لم تمت، خاصة وأنها في ذلك الوقت - تمثل رأي الأغلبية، فلقد كان على كثير من الكنائس موحدون، وفي مجمع «نيقية» كانوا هم الكثرة، ولكن بعد هذا المجمع عملت قوة السلطان على طمس هذا المذهب بالترغيب والترهيب،

---

(1) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. ص 118. مرجع سابق.

واحتاطت أشد الاحتياط في اختيار الأساقفة من غير الموحدين، وأخذ أولئك الأساقفة يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام، وإلهامات يزعمونها، حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ، ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح[1].

ولكن كيف وردت فكرة التثليث إلى النصرانية، وهي أول دين سماوي يتحول أتباعه من موحدين يؤمنون بإله واحد إلى الإيمان بثلاثة آلهة؟!

أ ـ إن دعوة المسيح لم تدم طويلاً، فلم تتعمق في قلوب أتباعها، ولم تطهرهم من كل أدران الماضي، يضاف إلى ذلك موقف اليهود من هذه الدعوة، ومحاولتهم القضاء عليها في مهدها. والدليل على ذلك أن تلاميذ المسيح أنفسهم، وهم الذين يُطلق عليهم الرسل، قد اجتمعوا «بأرشليم» بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، وقرروا: عدم التمسك بالختان، بل وزادوا عليها: عدم التمسك بالتوراة وما وليها من سائر أسفار العهد القديم ـ المقدس عندهم ـ فيما يتعلق بالمحرمات إلا الزنى، وأكل لحم المنخنقة والميتة، وأكل ذبائح الأوثان، فكانَ هذا الاجتماع هو الأساس الذي اعتمدت عليه المجامع التي عقدت بعد ذلك وأصبحت لقراراتها الكلمة العليا، سواء وافقت النصوص الدينية أم خالفتها وعلى المؤمنين بهذا الدين أن يطيعوا تلك الأوامر راغبين أو كارهين.

ولقد كان لموقف اليهود أثر بالغ في القضاء على دعوة المسيح مبكراً، لما رأوا فيها من معان سامية تسعى إلى الرفع من شأن الإنسان، وتطهيره من رجس المادة وأغلالها. فاتجهوا أولاً إلى منع الناس من سماع دعوته، فلما أعيتهم الحيلة، وبدأ الناس ـ خاصة الفقراء والضعفاء منهم ـ يستجيبون لهذه الدعوة الجديدة، أخذوا يكيدون له، ويحاولون الوقيعة بينه وبين الحكام، وقد تمكنوا في نهاية المطاف من حمل الحاكم الروماني، على أن يصدر الأمر بالقبض على المسيح، والحكم عليه بالإعدام صلباً. ولم يقف الأمر باليهود عند هذا الحد، بل أخذوا يطاردون الخلص من أتباع المسيح، ثم اتجهوا إلى هدم هذه الديانة من داخلها، ولعل «شاول» أو

---

(1) انظر: الأسفار المقدسة. ص 110 ـ 112، محاضرات في النصرانية. ص 119 ـ 121.

«بولس» هو المظهر الخارجي لهذه المؤامرة القذرة، فلقد تحول هذا الرجل من العداوة اللامتناهية للمسيحية، إلى داعية من دعاتها، بل رسول من رسلها. يقول «الشيخ محمد أبو زهرة»: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرة من غير سابق تمهيد؟! ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباهاً. بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك في رسل ولا أنبياء قط. . . ولكن «بولس» استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءهُ وتعاليمه[1]، فالدور الذي قام به «بولس» في هذه الديانة. . . تحيط به علامات استفهام كثيرة.

فمن الحقائق المجمع عليها:

1 ـ أن «بولس» في نظر المؤرخين الثقات يعد بحق واضع المسيحية المعروفة.

2 ـ أنه كان يهودياً متعصباً. . . وأنه كان شديد الاضطهاد للمسيحيين شديد التنكيل بهم والوشاية ضدهم.

3 ـ أما كيف حدث هذا التحول الكبير لدى «بولس»؟ فيجيب عليه إنجيل «لوقا» بقوله: «وعندما كان بولس قريباً من دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول. شاول. لماذا تضطهدني؟! فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده.

فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب. ماذا تريد أن أفعل؟ فدله يسوع على تلميذ في «دمشق» فاقتاده الرجال الذين كانوا معه، بعد أن فقد بصره على أثر هذا الحادث، وظل ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب حتى دخل دمشق، ووضع ذلك

---

(1) محاضرات في النصرانية. ص 69. مرجع سابق.

التلميذ يده على عين بولس فأبصر، وعلمه أن يكرز للمسيح ابن الله، وكرز بالمسيحية[1].

4 ـ إن فكرة المسيح «ابن الله» لم تكن معروفة في المسيحية قبل «بولس» فحتى سنة 38م كان الحواريون يفهمون من هذه الكلمة المجاز الذي لا يعدو أن يكون عيسى محبوباً لله كما يحب سائر المخلصين[2].

ويقول «القرافي»: ولا تزال النصارى كلها تختتن إلى زمان «بولس». فنهاهم «بولس» وهو أشأم من إبليس على النصارى. أخرجهم «بولس» هذا من الدين كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال، بسبب أنه كان يهودياً، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه. . .[3].

ب ـ الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها وتكوينها وتدرجها، الأمر الذي جعل كل أمر يقوم به أتباع هذا الدين، فيما يتعلق بالشؤون الدينية، يتم في سرية تامة، وفي خفية من العيون المتربصة بهم، خاصة من اليهود الذين يعيشون بينهم، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما ينقل ويروى في هذه الأجواء. ولذا رأينا كيف وصل هذا الاضطهاد ذروته بمحاولة القضاء على صاحب الدعوة نفسه، وإذا كان المسيح قد نجا من المحاولة، فإن دعوته قد تأثرت بعملية الصلب، إذ إن كثيرين اعتقدوا أن الصلب وقع على المسيح نفسه، ومن بينهم بعض الخواص من أتباعه المقربين، وقد وبخهم المسيح على هذا الاعتقاد عند قيامه من قبره بعد ثلاثة أيام من صلبه كما يعتقدون.

---

(1) نقلاً عن كتاب «جذور الفكر المادي» ص 252. للدكتور عبد المعطي محمد بيومي. دار الطباعة المحمدية. بالقاهرة.

(2) انظر: جذور الفكر المادي (المرجع السابق) ص 251، 252، بتصرف.

(3) انظر: قصة تحول بولس إلى النصرانية في كتاب: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، شهاب الدين القرافي. ص 321 وما بعدها. تحقيق: الدكتور بكر زكي عوض. مكتبة وهبة. القاهرة.

ولقد نزلت الشدائد من بعده بالمسيحيين، ووصلت ذروتها في عهد «نيرون» (64م). فقد تفنن هو وأشياعه في هذا العذاب، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات، ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم، وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها[1].

جـ- الأديان السائدة في بلاد الرومان، فالتاريخ يقص علينا أن الدين في ذلك الوقت يتمثل في: الوثنية الرومانية، واليهودية، والمسيحية الناشئة. واليهود - كما نعلم - غلبت عليهم العنصرية في كل مجالات حياتهم بما في ذلك الدين. فلقد اتخذوا من تدينهم المزعوم بدين «موسى» وتوهموا أن لهم منزلة دينية لا يساميهم فيها أحد، اتخذوا من هذا ما يصح أن يسمى «أرستقراطية» دينية، وزعموا أن لهم المكانة السامية، ولغيرهم المنزلة الوضيعة، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية، ولذلك لا نستغرب أن اليهود لا يدعون غيرهم من الشعوب الأخرى إلى اعتناق الدين اليهودي، عكس كل الأديان، ومن اعتنقه - بطريق أو بآخر - فإنه يعامل معاملة المنبوذ، ولا أدل على ذلك من معاملتهم ليهود «الفلاشا» في هذا العصر. ولقد كان النظام الاجتماعي السائد في تلك الدولة نظاماً طبقياً مقيتاً، فبينما نرى طبقة تعيش في رخاء وترف، وهي طبقة الحكام وقادة الجيش، ومن يلوذ بهم، نرى عامة الناس تعيش على الكفاف، فاستولى عليهم اليأس والسخط والإحساس بالظلم، ولولا الإيمان بحياة مستقبلية، يستمتعون فيها بما حرموا منه في هذه الحياة، لانفجرت فيهم ثورة تأتي على الأخضر واليابس، لذلك اتجهت النفوس إلى الإيمان بعالم علوي، ووجدت في التدين راحة تعوضها عما فاتها في هذه الحياة، فدخلت أعداد كثيرة من المصريين والرومان في المسيحية.

ومن جهة أخرى كانت فلسفة اليونان قد حطت رحالها في مدرسة «الإسكندرية» وكان شيخ هذه المدرسة قد اعتنق المسيحية في مقتبل حياته، ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، ثم جاء من بعده «أفلوطين المصري» والذي

---

(1) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. ص 28 وما بعدها.

تنسب إليه الأفلاطونية الحديثة ـ (205 ـ 270) وكان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه، أن الله هو منشئ الأشياء كلها، لا يتصف بصفات الحوادث. . . ويفيض على كل شيء نعمة الوجود، وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل، ولهذا العقل قوة الإنتاج، ولكن ليس كمن يولد عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء، ومنه يتولد كل شيء، فالشبه واضح بين هذا المذهب، وعقيدة التثليث، التي استقرت عليها المسيحية.

وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمعي «نيقية والقسطنطينية» بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة «الإسكندرية» وأن بطريركها كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في المجمعين، ظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة نتائج للفلسفة الأفلاطونية الحديثة[1].

د ـ المصادر التي اعتمدت عليها المسيحية لم تكن معصومة عن الخطأ، لأن مهمة حفظها أوكلت إلى البشر، فامتدت إليها يد التبديل والتغيير، لإشباع رغبات ونزوات مختلفة. والمسيحية تعتمد على مصدرين: العهد القديم، والعهد الجديد، وكلاهما لا يعد حجة في موضوعه، لفقدهما شروط الكتاب الديني، الذي يرسم المنهج الذي ارتضاه الله لعباده في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والذي يجب أن تتوافر فيه أمور أهمها:

1 ـ أن يكون الرسول الذي نسب إليه الكتاب قد علم صدقه، بظهور المعجزة على يديه.

2 ـ أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضاً يهدم بعضه بعضاً.

3 ـ أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول صحيحة، وثابتة بالطريق القطعي الذي يرويه جمع عن جمع يؤمَن تواطؤهم على الكذب.

---

(1) انظر: محاضرات في النصرانية، ص 32 ـ 36، والأسفار المقدسة. ص 110 ـ 113.

إن الكتب في الدين هي أساسه، فإن لم تكن مستوفية للشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملاً، ويتطرق إليها الشك والظن من كل جانب. وبذلك ينهدم الدين من أساسه.

ولا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها المسيح بنفسه، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها هم رسل من بعده، مبعوثون بها، يبشرون الناس بها. ولكن من هم هؤلاء الرسل؟ وما هو الدليل على صدقهم؟ لا نجد في مراجع القوم إجابة، اللهم إلا ما ورد في «سفر أعمال الرسل» من ذكر لأخبار تلاميذ المسيح، وأن روح القدس قد تجلى عليهم، وأنهم كانوا يأتون بأمور خارقة للعادة، وسماهم كاتب ذلك السفر رسلاً، وذكر أن عدد الأصحاب بعد المسيح أحد عشر وهم: «بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس، وفيليبس، وتوما، وبرتولماس، ومتى، ويعقوب بن حلفي، وسمعان الغيور، ويهوذا أخو يعقوب» وأن «بطرس» وقف وألقى كلمة في وسط التلاميذ ـ الذين بلغوا نحو مائة وعشرين ـ. وأنهم امتلؤوا جميعاً بروح القدس، وتكلموا بألسنة غير ألسنتهم[1].

ولكنه لم يذكر أسماءهم، والحواريون الذين ذكرهم ليس منهم من ينسب إليه كتب أو رسائل سوى «متى» و«بطرس» و«يوحنا» و«يعقوب» و«يهوذا» على ما في بعضها من الشك في نسبتها لأصحابها. ثم إن مؤلف «سفر الأعمال» هو «لوقا» فهل كان من تلاميذ المسيح أو من تلاميذ تلاميذه، لم يثبت شيء من ذلك، وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية: أنه كان من أصحاب أو تلاميذ «بولس». إذن لم نعرف حقيقة هؤلاء الرسل بسند صحيح، فضلاً عن أن يكون السند قطعياً.

وعلى هذا يكون الكلام في الإلهام، وأنهم رسل ملهمون لم يثبت بسند يصح الاعتماد عليه، وبناء عقيدة على أساسه، وهذا يكفي لإبطال دعوة الإلهام من أصلها. فما بالك إذا كانت هذه الكتب تحمل دليل بطلانها من داخلها، وذلك لو أنها كانت

---

(1) انظر: سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثاني، فقرات 1 ـ 4، ص 276 من الكتاب المقدس (العهد الجديد).

بإلهام، لما وجد الباطل طريقاً إليها، لوحدة من صدرت عنه. ولكنا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة، ووجدنا فيها أخباراً تناقض ما علم في التاريخ، وكان مشهوراً فيه، ولا أدل على ذلك من اختلاف الأناجيل في نسب المسيح ـ عليه السلام ـ:

1 ـ ففي إنجيل «متى» أن «يوسف النجار» ـ متبني المسيح ـ بن «يعقوب» وفي «لوقا» ابن «هالي».

2 ـ يعلم من «متى» أن «عيسى» من أولاد «سليمان بن داود» ومن «لوقا» أنه من أولاد «ناثان بن داود».

3 ـ يعلم من «متى» أن جميع آباء المسيح: من «داود» إلى جلاء بابل، سلاطين مشهورون، ومن «لوقا» أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين[1].

وهذا الاختلاف يعترف به المسيحيون أنفسهم، ويلزم عن هذا الاختلاف أمران:

الأول: أن أحد الإنجيلين لم يكن بإلهام قطعاً، وإلا لما اختلفا، لأن مصدر الوحي واحد، وإذا فرضنا أن أحدهما صادق، والآخر كاذب، فالكاذب لم يكن بإلهام، ولما كان الصحيح منهما غير متعين، فالشك يرد على الاثنين، حتى يقوم دليل على صدق أحدهما، وأنى لهم ذلك؟!

الثاني: أن المخالفة تنتج أحد شيئين: إما أن لا يكون إنجيل «متى» معروفاً للرسول «لوقا» ـ مع أنه سابق في التدوين عليه بعشرين سنة ـ وذلك يقتضي أن لا يكون موجوداً. وإما أن يكون موجوداً يعرفه «لوقا» ولكن لا يعترف به مصدراً صادق الرواية. وإحدى القضيتين لازمة حتماً، وإن لم يعترف بها المسيحيون. وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة، فهي إذن ليست بإلهام.

يضاف إلى ذلك: فقد السند المتصل بين هذه الكتب وأصحابها، إذ إن مصادر المسيحية ليس لها سند يصل هذه الكتب ـ في أقدم العصور التي عرفت فيها ـ بالكاتبين

---

(1) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع، انظر: إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي 1/ 93 وما بعدها. الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1998م. الناشر: دار الجيل ـ بيروت.

لها: فالتوراة المنسوبة إلى «موسى» ـ عليه السلام ـ ليست من تصنيفه، وإن تواتر هذه التوراة قد انقطع قبل زمان «يوشيا بن آمون» والنسخة التي وجدت بعد سبع عشرة سنة من جلوسه على سرير الملك، لا اعتماد عليها يقيناً، وعند قيام «بختنصر» بغزو فلسطين، قام بتدمير «أرشليم» ودمر معبد «سليمان» وسبى أكثر السكان إلى «بابل». وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم على وجه البسيطة.

ولما كتب «عزرا» هذه الكتب ـ على زعمهم ـ ضاعت نسخها مرة أخرى في التدمير الثاني للمدينة والمعبد في العهد الروماني.

وإذا كان «تيطس» الروماني قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل، وأبقى الأنقاض مكانها، فإن «أندريانوس» أزال معالم المدينة والهيكل تماماً عام 135م إذ حرث الأرض وسواها، وزرعها. وقضى على من فيها من اليهود بالقتل والتشريد[1]. وهذا الحكم ينطبق على كتب «العهد الجديد». وقد تقدم أن هذه الكتب في الأصل كتبت بلغة، ثم نقلت إلى لغة أخرى من غير علم باسم المترجم[2]، فضلاً عن توافر شروط الترجمة. كما أن هذه الكتب لم تعرف معرفة كاملة قبل مؤتمر «نيقية» كما أن هذا المؤتمر لم يعترف بكثير منها. فهو لم يعترف: (1) برسالة «بولس» للعبرانيين. (2) رسالة «بطرس» الثانية. (3) رسالة «يوحنا» الثانية والثالثة. (4) رسالة «يعقوب». (5) رسالة «يهوذا». (6) «رؤيا يوحنا» التي تسمى: الكتاب النبوي.

ولم يحكم بصحة هذه الكتب إلا في المجمع الذي عقد سنة 364م وآخر كتاب من هذه الكتب، كتب في أواخر القرن الأول الميلادي، فبين التأليف والاعتراف أكثر من قرنين وربع من الزمان، وقد مرت بهم من الأحداث ـ في هذه المدة ـ ما يشيب له الوليد. وإن هذه الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد، فقد أصدر أحد أباطرة الروم سنة 203م أمراً بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وعدم اجتماع المسيحيين لأداء

---

(1) انظر: كتاب: «إظهار الحق» 1/ 60 ـ 61. واليهودية ص 84 ـ 88.

(2) انظر: تاريخ الأمة القبطية، تأليف لجنة التاريخ القبطي. الطبعة الأولى 1921. مطبعة التوفيق بمصر.

عباداتهم. فنفذ الولاة هذا الأمر: هدموا الكنائس، وحرقوا الكتب، وأتوا على ما كان للمسيحيين من بيوت عبادة، وكان الولاة يتفننون في طرق إبادة المسيحية من الوجود: أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد إليها، ويتوارث العلم بها. وأبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة في الصدور ولا في السطور[1].

ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذي دام إلى صدر القرن الرابع، يجعل الكتب التي رويت في تلك الفترة موضع شك في نسبتها إلى قائليها، حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة. هذه هي مصادر التشريع عندهم، وقد ادعوا أنها كتبت بإلهام من كتّابها، ولم يقيموا أي دليل على دعوى الإلهام، وبدراستها تبين أنها ليست بإلهام إلهي، وبدراسة تاريخها ثبت أنها منقطعة السند عمن نسبت إليهم.

ولعل «موريس بوكاي» يختصر هذا الكلام الذي سقناه للاستدلال على عدم الوثوق في النصوص الدينية للعهدين القديم والجديد، ولا سيما في مجال العقيدة، إذ إنها تتعارض مع بداهة العقل، يختصره في العبارات الآتية: «كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار، تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار، وكان هذا التراث يغنى»[2].

ويقول في موضع آخر: «فخيالات «متى» والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل، والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات المتوالية للنصوص. كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على إصحاحات، وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده، لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح، فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها»[3].

---

(1) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. ص 82 ـ 83. مرجع سابق.

(2) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. ص 20. مرجع سابق.

(3) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. ص 131. مرجع سابق.

بعد هذه اللمحة المبسطة عن الأسباب التي أدت بالمسيحية إلى الوقوع في هذا المنعطف الخطير في مجال العقيدة، أرى من اللازم ـ إتماماً للبحث ـ أن نصور جوهر العقيدة عندهم، وأدلتهم على ذلك. ثم نبين قيمة هذا الاستدلال.

يقول الدكتور «بست» في تاريخ الكتاب المقدس[1]: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس. فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير».

وقد فسر هذا المعنى صاحب «الأصول والفروع»[2] فقال: «بعد ما خلق الله العالم، وتوج خليقته بالإنسان، لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته كما تبين ذلك من التوراة، على أنه لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارة: كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس. ولم يعلم من نزلت عليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني، لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل. ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى الأقانيم في اللاهوت. ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانا بتعاليمه وأعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الإدراك، ونراه مُسمَّى في أسفار اليهود: كلمة الله، وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة. ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحاً، ليسكن بين المؤمنين، وقد تبين أن لهذا الروح أيضاً نسبة أزلية إلى الله فائقة، كما للابن، ويسمى: روح القدس... ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله، والمسمى بروح الله في التوراة هما: المسيح، والروح القدس المذكوران في الإنجيل، فما لمحت إليه التوراة، صرح به الإنجيل كل التصريح، وأن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم.

---

(1) نقلاً عن: محاضرات في النصرانية. ص 91.

(2) الأصول والفروع، القس بوطر. نقلاً عن: محاضرات في النصرانية. ص 92.

وفي هذا التفسير يظهر بجلاء أن شخصية الابن غير الآب، وكذلك روح القدس. فهناك إذن ثلاثة آلهة متغايرون في الحقيقة، وإن اتحدوا في الجوهر، ولكن كتابهم يجتهدون في محاولة الجمع بين التثليث والوحدانية، بجعلهم جميعاً أقانيم وصفات لشيء واحد، ولكن أنى لهم ذلك؟ وهم يثبتون حقيقة التثليث، وإذا وجد التثليث الحقيقي لابد وأن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً، ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي وإلا يلزم اجتماع النقيضين، وهو محال. والقول بأن التثليث والتوحيد الحقيقيين، وإن كانا ضدين لكنهما في الواجب ليسا كذلك، سفسطة محضة، لأنه إذا ثبت أن الشيئين ـ بالنظر إلى ذاتيتهما ـ ضدان حقيقيان، فلا يمكن اجتماعهما في أمر شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب[1].

والذي دفع النصارى إلى محاولة رفع التناقض بين التثليث والتوحيد، نصوص التوراة الصريحة في هذا الموضوع، فقد ورد في «سفر التثنية»: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكون لك آلهة أخرى تجاهي»[2]. والتوراة عندهم كتاب مقدس، وهي تصرح بالتوحيد، وتدعو إليه، وتنهى عن الشرك بكل شعبه، فهم يجتهدون أولاً: أن يستنطقوا التوراة بحمل نصوصها على الإشارة إلى التثليث، وثانياً: أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية، لتلتقي التوراة مع الإنجيل. ومن جهة أخرى يسعون إلى تقريب عقيدتهم هذه من العقول، ولكن ذلك ليس بالأمر الهيِّن، فهم أنفسهم يعترفون بصعوبة هذه المحاولة. يقول «القس بوطر»: «قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه أكثر جلاء في المستقبل حيث ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية[3].

---

(1) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر: إظهار الحق 1/ 349 وما بعدها.

(2) سفر التثنية، إصحاح 5 فقرة 6، 7. ص 367 من الكتاب المقدس (العهد القديم)، وسفر الخروج إصحاح 20، فقرة 2، 3 ص 186 من الكتاب المقدس (العهد القديم).

(3) الأصول والفروع. القس بوطر. نقلاً عن: محاضرات في النصرانية. ص 95.

بمعنى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تكشف للناس عن وجهها الحقيقي إلا يوم القيامة، وذلك حق، فسيعلمون عاقبة هذا الأمر يوم يعرضون على الواحد الأحد. ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

ويحاول كتاب المسيحية أن يثبتوا أن عقيدة التثليث، وألوهية المسيح، قد جاءت بها كتبهم المقدسة ـ التوراة والإنجيل ـ وهم يستندون في ذلك إلى إشارات وردت في تلك الكتب لا يدل معظمها بحسب معانيها الحقيقية ـ على مقصودهم، فاستنباط ألوهية المسيح منها مجرد زعم. وبعض هذه الأقوال مجملة تفهم معانيها من الأقوال المفصلة المذكورة في كتب العهدين القديم والجديد، الموافقة للرأي الصائب والعقل السليم.

يقول «ابن تيمية»: والنصارى لا يلجأون في التثليث والاتحاد إلا إلى الشرع، فهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول. فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما جعله في قلوب الناس من المعارف العقلية... يدفع ذلك وينفيه، وينفر عنه. لكن يزعمون أن الكتب الإلهية جاءت بذلك، وأن ذلك أمر فوق العقل... مع أنه ليس في الكتب الإلهية ما يدل على ذلك، بل فيها ما يدل على نقيضه[2].

ولا أريد أن أتعرض لذكر تلك النصوص[3]، حتى لا يتشعب الموضوع، خاصة وأن هذه النصوص لم ينطلقوا منها في إثبات عقيدة التثليث، وإنما وصلت إليهم من مصادر أخرى، فهذه العقيدة سابقة على اعتماد مصادرهم في مؤتمر «نيقية» (325).

---

(1) الآية 227 من سورة الشعراء.

(2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، 2/ 91 وما بعدها. تقديم: علي السيد صبح المدني. مكتبة المدني ومطبعتها. جدة.

(3) أحيل القارئ إلى كتاب: إظهار الحق، رحمة الله الهندي 2/ 15 ففيه تفصيل لهذا الموضوع.

ثم إن هذه الإشارات التي استندوا إليها في التوراة: «كلمة الله، أو روح القدس» لا علاقة لها بالموضوع إلا بشيء من التكلف الذي يسعى صاحبه إلى التبرير، لا إلى الوصول إلى الحقيقة. ولا أدل على ذلك من أنهم يلهثون وراء الإشارة المبهمة، ويتركون الألفاظ الصريحة الموجودة في التوراة. والتي تثبت الوحدانية لله ـ تعالى ـ بكلام لا شبهة فيه.

ثم إن إنجيل «يوحنا» هو الإنجيل الوحيد الذي ورد فيه التصريح بقضية التثليث: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله، كان في البدء لدى الله به كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان... والكلمة صار بشراً، وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً من لدن الآب لابن وحيد»[1].

وإنجيل «يوحنا» هو آخر الأناجيل تأليفاً، ويشك كثير من الباحثين في صحة نسبته إلى «يوحنا» الحواري، وهو معارض بما ورد في الأناجيل الأخرى السابقة عليه، بل في إنجيل «يوحنا» نفسه ما يعارض هذا الكلام ويبطله: يقول عيسى ـ عليه السلام ـ في خطاب الله تعالى: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[2].

فهذا نصان متعارضان في قضية واحدة، فلا بد من تأويل واحد منهما، وإذ وجب التأويل، فلا مناص أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين العقلية. وهذا هو السر في أن المسيحيين لم يعتمدوا في إثبات تلك العقيدة على أي برهان عقلي. واعتمادهم على النقل لا يغني من الحق شيئاً، لأن شروط الإنتاج في أقيستهم غير مستوفاة، بل قد تفيده بأبعد أنواع الاحتمالات، ومن المعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال. وقضيتهم هذه والبدهيات العقلية نقيضان لا يجتمعان.

---

(1) إنجيل يوحنا، إصحاح 1 فقرة 1 ـ 6، ص 289. وفقرة 14 ـ 22 من نفس الإصحاح. ص 290. من الكتاب المقدس (العهد الجديد).

(2) إنجيل يوحنا، الإصحاح 17، فقرة 3.

هذه جولة حول عقيدة «التثليث» عند النصارى، وهو موضوع شائك حاولت الإلمام به في هذه العجالة، أما بالنسبة لقضيتيْ: صلب المسيح فداء للخليقة، ودينونيته للناس يوم القيامة، فلن أتعرض لهما خوفاً من الإطالة، ولأنهما نتيجتان لقضية التثليث، فإذا بطلت تلك بطلت هاتان القضيتان بطريق الأولى.

يضاف إلى ذلك أن «الحليمي» رحمه الله ـ لم يخض دروب هذا الموضوع، وإنما اكتفى ببيان أن الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وإن كان واجباً، غير أنه لا يؤخذ بقراءة ما في أيدي اليهود والنصارى، وعلل ذلك بأسباب منها:

1 ـ أن الله خوَّنهمْ، وجرحهم، ونسبهم إلى أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله[1].

2 ـ أن الكفار لا شهادة لهم أصلاً، فكيف يقبل قولهم على الله ـ تعالى ـ ورسله.

3 ـ أن أكثر ما في أيديهم من التوراة حديثٌ عن مغازي «موسى» وقصته مع «فرعون» وما دار بينه وبين بني إسرائيل طول مقامه بين أظهرهم، وصفة وفاته. ولا يخفى على عاقل أن ذلك على وجهه لم ينزل عليه، وأنه بمنزلة الأخبار التي جاءت بمغازي «نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ» ومغازي أصحابه، وإذا كانت هذه ليست من القرآن في شيء، فكذلك ما كان من ذلك «لموسى» ـ عليه السلام ـ لا يجوز أن يلحق بالتوراة أو يدعى باسمها.

4 ـ أما ما يدعي النصارى أنه الإنجيل، فإن فيه من الكفر الصريح من نحو قولهم: «باسم الآب والابن وروح القدس» وقولهم «يا ثالوث ارحمنا» ما لا يخفى على عاقل أن الله لا يرضى من عباده إطلاقه، فضلاً عن أن يأمر بإنزاله.

---

(1) اقتباس من الآية 78 من سورة البقرة.

5 ـ ليس عند النصارى ذلك الإنجيل المنزل على «عيسى» ـ صلوات الله عليه ـ وأنه فات بما جرى على بيت المقدس، وبني إسرائيل أيام «بختنصر»[1]. ولكن جماعة من علمائهم وضعوا لهم كتاباً يجمعهم سموه «الإنجيل» ليكون ذلك أعظم لاسمه، وأدعى للناس إلى قبوله، وما كان بهذه المنزلة فالبر في مجانبته[2].

(1) يبدو أن الحليمي قد خانته الذاكرة هنا. فهذه الواقعة كانت قبل ميلاد المسيح بأكثر من ستة قرون ولعله يقصد التدمير الثاني لبيت المقدس في العصر الروماني، وقد تقدم الحديث عنه في السبب الرابع من الأسباب التي أدت بالنصارى إلى عقيدة التثليث.

(2) انظر المنهاج في شعب الإيمان 1/ 322، 323.

obeikandl.com

سادساً: موقف القرآن الكريم من التوراة والإنجيل:

يعترف القرآن بالتوراة التي أنزلها الله على «موسى» ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[1]. فيما عدا ذلك، فإن الإسلام لا يعترف به، فسفر «يوشع» وسفر «القضاة» و«الملوك...» ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام.

وكذلك الأمر بالنسبة للإنجيل، فلا يعترف القرآن بغير الإنجيل الذي نزل على «عيسى» ـ عليه السلام ـ أما الأناجيل الموجودة اليوم، وما ألحق بها من أسفار العهد الجديد، فهي من وضع البشر، فقد كتبها أناس بأقلامهم بعد رفع المسيح بفترة ليست بالقصيرة.

والمسيح الذي يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذي تذكره الأناجيل. فالمسيح في القرآن: إنسان من البشر اصطفاه الله، كما اصطفى غيره من الأنبياء والرسل. أما مسيح هذه الأناجيل والأسفار: فهو كائن غريب: هو إله وابن إله، وأقنوم من الأقانيم الثلاثة التي يتكون منها عندهم «الثالوث المقدس».

ونظرة القرآن إلى هذه الكتب نظرة موضوعية تعتمد الواقع، وتنطلق منه، وهذا الواقع يمكن تقسيمه إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: يعلمنا القرآن أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، يأتي مصدقاً ومؤكداً لما قبله، فالإنجيل مصدق، ومؤيد للتوراة قبله. والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة، ولكل ما قبله من الكتب. ولكن ليس معنى التصديق، أن يكون المتأخر صورة طبق الأصل من المتقدم، ولكن على معنى أن الأحكام التي جاء

---

(1) الآيتان 2، 4 من سورة آل عمران.

بها المتقدم هي من عند الله، وأن هذه الأحكام منها ما هو باق خالد، فيأتي الدين الجديد مقرراً لتلك الأحكام الكلية التي لا تختلف مصلحته باختلاف الأمم والزمان. ومنها أحكام وتشريعات موقوتة بآجال. قد تطول، وقد تقصر، فهذه تنتهي بانتهاء الأجل المضروب لها، فيأتي الدين الجديد بأحكام أخرى أوفق للعباد والبلاد، ولكن هذا لا يعد نقضاً من المتأخر للمتقدم، ولا إنكاراً لحكمة أحكامه في وقتها، وإنما وقوفاً بها عند غايتها، وأجلها المقرر.

«ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين ما اجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشري: عنصر الاستمرار الذي يربط حاضر البشرية بماضيها. وعنصر الإنشاء والتجديد، الذي يعد الحاضر للتطور والرقي اتجاهاً إلى مستقبل أفضل»[1].

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة، ولبنات في بناء صرح متكامل تستظل به البشرية، ويرشدها إلى الطريق القويم الموصل إلى سعادة الإنسان في الدارين.

وكان الإسلام هو الدين الخاتم، واللبنة الأخيرة التي أكملت البنيان، وتمت به نعمة الله على البشرية، فكانت آخر آية نزلت في دستور هذا الدين: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[2].

وقد صور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دوره في تشييد ذلك الصرح أوضح صورة بقوله: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون. ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[3].

---

(1) الدين. الدكتور محمد عبدالله دراز. ص 179.

(2) الآية 3 من سورة المائدة.

(3) رواه البخاري من حديث أبي هريرة. كتاب المناقب. باب خاتم النبيين. حديث 3535. فتح الباري، 6/ 558. المطبعة السلفية. القاهرة.

المرحلة الثانية : إذا كانت مهمة القرآن هي التصديق بكل ما جاءت به الكتب السابقة عليه من أحكام وتشريعات وعقائد، فإن من مهامه أيضاً أن يحافظ على تلك الشرائع والأحكام، حتى تسير في مسارها الذي ارتضاه الله لها، فإذا خرجت تلك الأديان عن هذا المسار كان لزاماً على القرآن أن لا يقف موقف المتفرج الذي لا يعنيه شقاء الناس أو سعادتهم، لذلك أضيفت إليه مهمة أخرى - إلى جانب التصديق - وهي الهيمنة على تلك الكتب، أي الحارس عليها، ومهمة الحارس الأمين لا تقتصر على تأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما عساه أن يكون قد أخفِيَ منها.

ولهذا كانت مهمة القرآن أن ينفي عنها الزائد، وأن يتحدى من يدَّعي وجودها في تلك الكتب ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

كما أن عليه أن يبين ما ينبغي تبيينه مما كتموه منها ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾[2].

وجملة القول: إن علاقة القرآن بالديانات السماوية في صورتها الأولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي، وإن علاقته بها في صورتها المنظورة اليوم علاقة تصديق لما بقي من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة[3].

---

(1) الآية 93 من سورة آل عمران.

(2) الآية 15من سورة المائدة.

(3) من أهم المراجع التي اعتمدت عليها في هذا الموضوع الأخير (موقف القرآن من التوراة والإنجيل) البحث القيم الخاص بموقف الإسلام من الأديان الأخرى الذي ألحق بكتاب «الدين» للمرحوم: الدكتور محمد عبد الله دراز. ص 175 - 185.

نتائج هذا الفصل

1 ـ الوضع هو القاسم المشترك بين كتب اليهود والنصارى .
2 ـ لا يوجد سند متصل لكتاب من كتب العهدين القديم والجديد .
3 ـ المسيحية أول دين سماوي يتحول أتباعه من التوحيد إلى التثليث .
4 ـ تناقض كتب النصارى وتضاربها يبطل دعوى الإلهام عنها .

obeikandl.com